إرشاد الأنام

إلى أن التوحيد

أفضل الأعمال

إعداد

أبو حمّاد الجَرِي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عن أبي ذرٍّ ﷺ قال: قلتُ: يا رسول الله! أوْصِني. قال:"إذا عَمِلْتَ سيِّئَةً فأتْبِعْها حَسنةً تَمْحُهَا".*قال: قلتُ: يا رسولَ الله! أمِنَ الحَسنَاتِ لا إله إلا الله! قال: "هي أفْضَلُ الحَسنَاتِ"*.رواه أحمد وصححه الألباني.

وعن عبد الله بن عَمرو بن العاص رضي الله عنهما؛ أن رسول الله ﷺ قال: (إِنَّ اللَّهَ سيُخلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رؤوس الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًا كُلُّ سِجِلٍّ مَدُّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتُنْكِرُ شَيْئًا مِنْ هَذَا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ فَيَقُولُ: أَفَلَكَ *عُذْرٌ أَوْ حَسَنَةٌ؟ فيُبهت الرَّجُلُ وَيَقُولُ: لَا يارب، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ فيُخرج لَهُ بِطَاقَةً فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فيقول: يارب مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تُظْلَم، قَالَ: فتُوضع السِّجِلَّاتُ فِي كفةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كفةٍ فَطَاشَتَ السِّجِلَّاتُ وثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ قَالَ: فَلَا يَثْقُلُ اسْمَ اللَّهِ شَيْءٌ).رواه ابن حبان وصححه الألباني.

وعن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: "**ألا أخبركم بوصية نوح ابنه؟** ". قالوا: بلى. قال: "**أوصى نوحٌ ابنَه، فقال لابنه: يا بني! إني أوصيك باثنتين، وأنهاك عن اثنتين، أوصيك بقول: (لا إله إلا الله)؛ فإنها لو وضعت في كفَّة، ووضعت السماوات والأرض في كفَّة، لرجحت بهن، ولو كانت حلقةً لَقَصَمَتْهُنَّ حتى تَخلص إلى الله**" فذكر الحديث. رواه البزار وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (2/ 222)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضى الله عنه ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، **فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ ». متفق عليه.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضى الله عنه ـ قَالَ سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ **أَىُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ**، قَالَ " **إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ**". قِيلَ ثُمَّ مَاذَا قَالَ " جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ". قِيلَ ثُمَّ مَاذَا قَالَ " حَجٌّ مَبْرُورٌ ". متفق عليه.

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ – رضى الله عنه – { قَالَ: سَأَلْتُ اَلنَّبِيَّ – ﷺ – **أَيُّ اَلْعَمَلِ أَفْضَلُ**؟ قَالَ: "إِيمَانٌ بِاَللَّهِ, وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ" . قُلْتُ: فَأَيُّ اَلرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: " أَعْلَاهَا ثَمَنًا, وَأَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا" } مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُبْشِيٍّ الْخَثْعَمِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سُئِلَ **أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ** فَقَالَ " **إِيمَانٌ لاَ شَكَّ فِيهِ**، وَجِهَادٌ لاَ غُلُولَ فِيهِ وَحَجَّةٌ مَبْرُورَةٌ " . حسن رواه النسائي

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: " من قَالَ: **لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ* لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ **إِلَّا رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ** "مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ,

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: **لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ قَالَ**: رَبِّ اغْفِرْ لِي أَوْ قَالَ: **ثُمَّ دَعَا استيجيب لَهُ** فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ " رَوَاهُ الْبُخَارِيّ

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ: {**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ**} قال: **من جاء بلا إله إلا الله**، {**وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ**}؛ قال: من جاء بالشرك. رواه الحاكم موقوفاً وقال: "صحيح على شرطهما" وصححه الألباني موقوفا في «صحيح الترغيب والترهيب» (2/ 221)

وقال الإمام ابن جرير الطبري «حدَّثني المثنى، قال: ثنا عبدُ اللهِ بنُ صالحٍ، قال: ثني معاويةُ، عن عليِّ بن أبى طلحةَ، عن ابن عباسٍ قولَه: {**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ**}. يقولُ: **مَن جاء بلا إلهَ إلا اللَّهُ** {**وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ**}. قال: الشركِ» «تفسير الطبري» (10/ 41).

وقال الإمام ابن جرير الطبري: حدَّثني المثَنَّى، قال: ثنا إسحاقُ، قال: ثنا الحسينُ الجُعْفِيُّ، عن فضيلِ بن مرزوقٍ، عن عطيةَ العَوفيِّ، عن ابن عمرَ: ﴿**فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾. قال: **عن لا إلهَ إلا اللَّهُ**.

وأخرج الإمام البيهقي، عن أبي مُحَمَّد الزبيري قال: «قال رجل للشافعي: **أي الأعمال عند الله أفضل؟**

قال الشافعي: **ما لا يقبل عملا إلا به**. قال: وما ذاك؟ قال: **الإيمان بالله الذي لا إله إلا هو، أعلى الأعمال درجة، وأشرفها منزلة، وأسناها حظًّا**.

قال الرجل: ألا تخبرني عن الإيمان: قول وعمل، أو قول بلا عمل؟

قال الشافعي: **الإيمان عمل لله، والقول بعض ذلك العمل**.

قال الرجل: صف لي ذلك؛ حتى أفهمه.

قال الشافعي: إن للإيمان حالات ودرجاتٍ وطبقاتٍ، فمنها التام المُنْتَهِي تمامه، والناقص البيِّن نقصانه، والراجح الزائد رجحانه.

قال الرجل: وإن الإيمان ليتمّ وينقص، ويزيد؟ قال الشافعي: نعم.

قال: وما الدليل على ذلك؟

قال الشافعي: إن الله، جل ذكره، فرض الإيمان على جوارح بني آدم، فقسمه فيها، وفرقه عليها، فليس من جوارحه جارحة إلا وقد وكلت من الإيمان بغير ما وكلت به أختها، بفرض من الله تعالى:

فمنها: «قلبه» الذي يعقل به، ويفقه، ويفهم، وهو أمير بدنه الذي لا ترد الجوارح، ولا تصدر إلا عن رأيه وأمره.

ومنها: «عيناه» اللتان ينظر بهما، و«أذناه» اللتان يسمع بهما، و«يداه» اللتان يبطش بهما، و«رجلاه» اللتان يمشي بهما و«فرجه» الذي البَاهُ من قِبَلِه، و«لسانه» الذي ينطق به، و«رأسه» الذي فيه وجهه.

فرض على «القلب» غير ما فرض على «اللسان»، وفرض على «السمع» غير ما فرض على «العينين»، وفرض على «اليدين» غير ما فرض على «الرجلين»، وفرض على «الفرج» غير ما فرض على «الوجه».

فأما «فرض الله على القلب من الإيمان»: فالإقرار والمعرفة والعَقْد، والرضا والتسليم بأنّ الله لا إله إلا هو وحده لا شريك له، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا، وأن محمدًا، ﷺ، عبده ورسوله، والإقرار بما جاء من عند الله من نَبِيّ أو كتاب. فذلك ما فرض الله، جل ثناؤه، على القلب، وهو عمله: ﴿**إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا**﴾ وقال: ﴿**أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ وقال: ﴿**مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ**﴾ وقال: ﴿**وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ**﴾ فذلك ما فرضَ الله على القلب من الإيمان، وهو عمله، وهو رأس الإيمان.

«**وفرض الله على اللسان**»: **القولَ والتعبيرَ عن القلب** بما عَقَد وأَقرَّ به، فقال في ذلك: ﴿**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ**﴾ وقال: ﴿**وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا**﴾ **فذلك ما فرض الله على اللسان من القول، والتعبير عن القلب، وهو عمله**، والفرض عليه من الإيمان.» اهـ مناقب الشافعي للبيهقي (1/387-389)

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله: «فهكذا الإيمان هو درجات ومنازل، وإن كان سمى أهله اسما واحدا، وإنما هو عمل من أعمال تعبد الله به عباده، وفرضه على جوارحهم، وجعل أصله في معرفة القلب، ثم جعل المنطق شاهدا عليه، ثم الأعمال مصدقة له، وإنما أعطى الله كل جارحة عملا لم يعطه الأخرى، **فعمل القلب**: **الاعتقاد، وعمل اللسان**: **القول، وعمل اليد**: **التناول، وعمل الرجل**: **المشي**، وكلها يجمعها اسم العمل، فالإيمان على هذا التناول إنما هو كله مبني على العمل، من أوله إلى آخره، إلا أنه يتفاضل في الدرجات على ما وصفنا.

وزعم من خالفنا أن القول دون العمل، فهذا عندنا متناقض، لأنه إذا جعله قولا فقد أقر أنه عمل، وهو لا يدري بما أعلمتك من العلة الموهومة عند العرب في تسمية أفعال الجوارح عملا.

وتصديقه في تأويل الكتاب في عمل القلب واللسان، قول الله في القلب: {**إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان**} [النحل: 106]، وقال {**إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما**} [التحريم: 4]، وقال {**الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم**} [الأنفال: 2] وقال رسول الله ﷺ: إن في الجسد لمضغة إذا صلحت صلح سائر الجسد، وهي القلب. وإذا كان القلب مطمئنا مرة، ويصغي أخرى ويوجل ثالثة، ثم يكون منه الصلاح والفساد، فأي عمل أكثر من هذا؟ ثم بين ما ذكرنا قوله {**ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول**} [المجادلة: 8] فهذا ما في عمل القلب **وأما عمل اللسان** فقوله {**يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا**} [النساء: 108] **فذكر القول ثم سماه عملا**، ثم قال {**فإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون**} [يونس/ 41] هل كان عمل رسول الله ﷺ معهم إلا دعاؤه إياهم إلى الله، وردهم عليه قوله بالتكذيب وقد أسماها هاهنا عملا؟ وقال في موضع ثالث: {**قال قائل منهم إني كان لي قرين يقول أئنك لمن المصدقين**} إلى {**لمثل هذا فليعمل العاملون**} [الصافات: 61] فهل يكون التصديق إلا بالقول وقد جعل صاحبها هاهنا عاملا؟ ثم قال {**اعملوا آل داود شكرا**} [سبأ/ 13] فأكثر ما يعرف الناس من الشكر أنه الحمد والثناء باللسان، وإن كانت المكافأة قد تدعى شكرا.

فكل هذا الذي تأولنا إنما هو على ظاهر القرآن، وما وجدنا أهل العلم يتأولونه، والله أعلم بما أراد، إلا أن هذا هو المستفيض في كلام العرب غير المدفوع، **فتسميتهم الكلام عملا، من ذلك أن يقال: لقد عمل فلان اليوم عملا كثيرا، إذا نطق بحق وأقام الشهادة، ونحو هذا. وكذلك إن أسمع رجل صاحبه مكروها، قيل: قد عمل به الفاقرة، وفعل به الأفاعيل، ونحوه من القول، فسموه عملا، وهو لم يزده على المنطق**. ومنه الحديث المأثور: "من عد كلامه من عمله، قل كلامه إلا فيما ينفعه".

فوجدنا تأويل القرآن، وآثار النبي ﷺ، وما مضت عليه العلماء، وصحة النظر، كلها تصدق أهل السنة في الإيمان . »اهـ «الإيمان لأبي عبيد» (ص 29-28)

وقال الإمام ابن منده, مُحَمَّد بن إسحاق بن مُحَمَّد بن يحيى بن منده العبدي، أبو عبد الله الأصبهاني رحمة الله:

«ذِكْرُ اخْتِلَافِ أَقَاوِيلِ النَّاسِ فِي الْإِيمَانِ مَا هُوَ

«فَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُرْجِئَةِ: الْإِيمَانُ فِعْلُ الْقَلْبِ دُونَ اللِّسَانِ،

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ: «الْإِيمَانُ فِعْلُ اللِّسَانِ دُونَ الْقَلْبِ، وَهُمْ أَهْلُ الْغُلُوِّ فِي الْإِرْجَاءِ»،

وَقَالَ جُمْهُورُ أَهْلِ الْإِرْجَاءِ: «الْإِيمَانُ هُوَ فِعْلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ جَمِيعًا»،

وَقَالَتِ الْخَوَارِجُ: «الْإِيمَانُ فِعْلُ الطَّاعَاتِ الْمُفْتَرَضَةِ كُلِّهَا بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَسَائِرِ الْجَوَارِحِ»، وَقَالَ آخَرُونَ: «الْإِيمَانُ فِعْلُ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ مَعَ اجْتِنَابِ الْكَبَائِرِ»،

وَقَالَ أَهْلُ الْجَمَاعَةِ:»الْإِيمَانُ هِيَ الطَّاعَاتُ كُلُّهَا بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَسَائِرِ الْجَوَارِحِ غَيْرَ أَنَّ لَهُ أَصْلًا وَفَرْعًا فَأَصْلُهُ الْمَعْرِفَةُ بِاللَّهِ وَالتَّصْدِيقُ لَهُ وَبِهِ وَبِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِهِ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ مَعَ الْخُضُوعِ لَهُ وَالْحُبِّ لَهُ وَالْخَوْفِ مِنْهُ وَالتَّعْظِيمِ لَهُ مَعَ تَرْكِ التَّكَبُّرِ وَالِاسْتِنْكَافِ وَالْمُعَانَدَةِ، فَإِذَا أَتَى بِهَذَا الْأَصْلِ، فَقَدْ دَخَلَ فِي الْإِيمَانِ، وَلَزِمَهُ اسْمُهُ، وَأَحْكَامُهُ، وَلَا يَكُونُ مُسْتَكْمِلًا لَهُ حَتَّى يَأْتِيَ بِفَرْعِهِ، وَفَرْعُهُ الْمُفْتَرَضُ عَلَيْهِ، أَوِ الْفَرَائِضِ وَاجْتِنَابِ الْمَحَارِمِ، وَقَدْ جَاءَ الْخَبَرُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ سِتُّونَ شُعْبَةً أَفْضَلُهَا شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»، فَجَعَلَ الْإِيمَانَ شُعَبًا بَعْضُهَا بِاللِّسَانِ وَالشَّفَتَيْنِ وَبَعْضُهَا بِالْقَلْبِ وَبَعْضُهَا بِسَائِرِ الْجَوَارِحِ «. فَشَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِعْلُ اللِّسَانِ تَقُولُ شَهِدْتُ

أَشْهَدُ شَهَادَةً وَالشَّهَادَةُ فِعْلُهُ بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ لَا اخْتِلَافَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي ذَلِكَ وَالْحَيَاءُ فِي الْقَلْبِ وَإِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ فِعْلُ سَائِرِ الْجَوَارِحِ» اهـ. كتاب الإيمان (1/ 331 – 332)

وقال الإمام ابن رجب الحنبلي تحت تبويب الإمام البخاري رحمه الله « **باب من قال: إن الإيمان هو العمل؛** لقول الله تعالى {**وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**} [الزخرف: 72] . وقال عدة من أهل العلم في قوله عز وجل {**فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**} [الحجر: 92] : **عن قول لا إله إلا الله**. وقال {**لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلْ الْعَامِلُونَ**} [الصافات: 61] .

ثم خرج حديث: أبي هريرة أن النبي ﷺ سئل: **أي العمل أفضل؟ قال: " إيمان بالله ورسوله "** قيل: ثم ماذا؟ قال: الجهاد في سبيل الله " قيل: ثم ماذا؟ قال: " حج مبرور ".

مقصود البخاري بهذا الباب: أن الإيمان كله عمل؛ مناقضة لقول من قال: إن الإيمان ليس فيه عمل بالكلية؛ فإن الإيمان أصله تصديق بالقلب، وقد سبق ما قرره البخاري أن تصديق القلب كسب له وعمل، **ويتبع هذا التصديق قول اللسان.**

ومقصود البخاري هاهنا: أن يسمى عملا – أيضا –، أما أعمال الجوارح فلا ريب في دخولها في اسم العمل، ولا حاجة إلى تقرير ذلك؛ فإنه لا يخالف فيه أحد، فصار الإيمان كله – على ما قرره – عملا.

والمقصود بهذا الباب: تقرير أن قول اللسان: عمله؛ واستدل لذلك بقوله تعالى {**وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**} [الزخرف: 72] وقوله {**لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلْ الْعَامِلُونَ**} [الصافات: 61] **ومعلوم أن الجنة إنما يستحق دخولها بالتصديق بالقلب مع شهادة اللسان، وبها يخرج من يخرج من أهل النار فيدخل الجنة** – كما سبق ذكره. وفي " المسند "، عن معاذ بن جبل مرفوعا: " **مفتاح الجنة: لا إله إلا الله** " . وحكى البخاري عن عدة من أهل العلم أنهم قالوا في قوله تعالى {**فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**} [الحجر: 92] : عن قول لا إله إلا الله؛ **ففسروا العمل بقول كلمة التوحيد.**

ومن روي عنه هذا التفسير: ابن عمر، ومجاهد . ورواه ليث بن أبي سليم، عن بشير بن نهيك، عن أنس موقوفا . روي عنه مرفوعا – أيضا – خرجه الترمذي وغيره وقال الدارقطني: ليث غير قوي، ورفعه غير صحيح .

وقد خالف في ذلك طوائف من العلماء من أصحابنا وغيرهم كأبي عبد الله بن بطة، وحملوا العمل في هذه الآيات على أعمال الجوارح؛ واستدلوا بذلك على دخول الأعمال في الإيمان.

وأما حديث أبي هريرة: فهو يدل على أن الإيمان بالله ورسوله عمل لأنه جعله أفضل الأعمال، والإيمان بالله ورسوله الظاهر أنه إنما يراد به الشهادتان مع التصديق بهما؛ ولهذا ورد في حديث: " **بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّدًا رسول الله " وفي رواية ذكر الإيمان بالله ورسوله " بدل الشهادتين "؛ فدل على أن المراد بهما واحد؛** ولهذا عطف في حديث أبي هريرة على هذا الإيمان " الجهاد " ثم " الحج "، **وهما مما يدخل في اسم الإيمان المطلق؛ لكن الإيمان بالله أخص من الإيمان المطلق، فالظاهر أنه إنما يراد بهما الشهادتان مع التصديق بهما، فإذا سمي الشهادتين عملا دل على أن قول اللسان عمل.**

وقد كان طائفة من المرجئة يقولون: *الإيمان قول وعمل – موافقة لأهل الحديث –، ثم يفسرون العمل بالقول ويقولون: هو عمل اللسان.* وقد ذكر الإمام أحمد هذا القول عن شبابه بن سوار وأنكره عليه وقال: هو أخبث قول ما سمعت أن أحدا قال به ولا بلغني. يعني أنه بدعة لم يقله أحد ممن سلف لعل مراده إنكار تفسير قول أهل السنة: الإيمان قول وعمل بهذا التفسير؛ فإنه بدعة وفيه عي وتكرير؛ إذ العمل على هذا القول بعينه، ولا يكون مراده إنكار أن القول يسمى عملا.

ولكن روي عنه ما يدل على إنكار دخول الأقوال في اسم الأعمال، فإنه قال في رواية أبي طالب – في رجل طلق امرأته واحدة ونوى ثلاثا، قال بعضهم: له نيته، ويحتج بقوله: " الأعمال بالنيات " قال أحمد: ما يشبه هذا بالعمل؛ إنما هذا لفظ كلام المرجئة يقولون: القول هو عمل. لا يحكم عليه بالنية ولا هو من العمل. وهذا ظاهر في إنكار تسمية القول عملا بكل حال وأنه لا يدخل تحت قوله " الأعمال بالنيات ". *وكذلك ذكر أبو بكر عبد العزيز بن جعفر في كتاب " السنة " وهذا على إطلاقه لا يصح؛ فإن كنايات الطلاق كلها أقوال ويعتبر لها النية، وكذلك ألفاظ الإيمان والنذور أقوال ويعتبر لها النية وألفاظ عقود البيع والنكاح وغيرهما أقوال ويؤثر فيها النية عند أحمد، كما تؤثر النية [في] بطلان نكاح التحليل وعقود التحليل على الربا. وقد نص أحمد على أن من أعتق أمته وجعل عتقها صداقها أنه يعتبر له النية، فإن أراد نكاحها بذلك وعتقها انعقدا بهذا القول. وكذلك ألفاظ الكفر المحتملة تصير بالنية كفرا.

وهذا كله يدل على أن الأقوال تدخل في الأعمال ويعتبر لها النية. ومسألة الطلاق المذكورة فيها عن أحمد روايتان — أيضا.

وقد خرج أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب " **الطلاق " له بدخول القول في العمل**، وأن الأقوال تدخل* في قوله ﷺ " الأعمال بالنيات "

وأبو عبيد محله من معرفة لغة العرب المحل الذي لا يجهله عالم. وقد اختلف الناس لو حلف لا يعمل عملا أو لا يفعل فعلا فقال قولا هل يحنث أم لا؟ وكذا لو حلف ليفعلن أو ليعملن هل يبر بالقول أم لا؟

وقد حكى القاضي أبو يعلي في ذلك اختلافا بين الفقهاء، وذكر هو في كتاب " الأيمان " له أنه لا يبر ولا يحنث بذلك. وأخذه من رواية أبي طالب، عن أحمد — التي سبق ذكرها — واستدل له بأن الأيمان يرجع فيها إلى العرف، والقول لا يسمى عملا في العرف؛ ولهذا يعطف القول على العمل كثيرا فيدل على تغايرهما عرفا واستعمالا.

ومن الناس من قال: القول يدخل في مسمى الفعل ولا يدخل في مسمى العمل. وهو الذب ذكره ابن الخشاب النحوي وغيره.

وقد ورد تسمية القول فعلا في القرآن في قوله تعالى {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ} [الأنعام: ١١٢] ..» اهـ فتح الباري (١/١٢١).

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي رحمه الله: «فأمَّا الإسلامُ، فقد فسَّره النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم **بأعمالِ الجوارح الظَّاهرة مِنَ القولِ والعملِ، وأوّلُ ذلك: شهادةُ أنْ لا إله إلا الله، وأنَّ مُحمَّداً رسولُ الله، وهو عملُ اللسانِ، ثمّ إقامُ الصلاةِ، وإيتاءُ الزكاةِ، وصومُ رمضانَ، وحجُّ البيت من استطاع إليه سبيلاً**.»اهـ : «جامع العلوم والحكم» (ص75).

واعلم أن القول قسم من العمل تارة وقسيم له أخرى كما أشار شيخ الإسلام

قال الحافظ ابن المحب الصامت المقدسي في كتابه [إثبات أحاديث الصفات ص 455/ا باب الشفاعة :

((حديث: " **شفعت الملائكة وشفع النبيون ولم يبق إلا أرحم الراحمين؛ فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حمماً**". **قال شيخنا – ويقصد شيخ الإسلام ابن تيمية -: ليس في الحديث نفي إيمانهم!، وإنما فيه نفي عملهم الخير** ، وفي الحديث الآخر: " **فيخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان** "؛ **و قد يحصل في قلب العبد مثقال ذرة من إيمان وإنْ كان لم يعمل خيراً !، ونفي العمل أيضاً لا يقتضي نفي القول !، بل يقال: فيمن شهد أن لا إله إلا الله وأنَّ مُحَمَّداً رسول الله ومات ولم يعمل بجوارحه قط إنه لم يعمل خيراً، فإنَّ العمل قد لا يدخل فيه القول** لقوله: " **إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه** "، **وإذا لم يدخل في النفي إيمان القلب واللسان لم يكن في ذلك ما يناقض القرآن**).اهـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية:«؛ ولهذا يجعل القول قسيما للفعل تارة وقسما منه أخرى . فالأول كما يقول: الإيمان قول وعمل . ومنه قوله ﷺ { **إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل به** } " ومنه قوله تعالى { **إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه** } ". ومنه قوله تعالى { **وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل** } وأمثال ذلك مما يفرق بين القول والعمل.

وأما دخول القول في العمل ففي مثل قوله تعالى { **فوربك لنسألنهم أجمعين** } { **عما كانوا يعملون** } . وقد **فسروه بقول لا إله إلا الله** ولما { سئل ﷺ **أي الأعمال أفضل**؟ قال: **الإيمان بالله** } مع قوله: { **الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله؛ وأدناها إماطة الأذى عن الطريق** } ونظائر ذلك متعددة. وقد تنوزع فيمن حلف لا يعمل عملا إذا قال قولا كالقراءة ونحوها هل يحنث؟ على قولين في مذهب أحمد وغيره بناء على هذا. **فهذه الألفاظ التي فيها إجمال واشتباه إذا فصلت معانيها. وإلا وقع فيها نزاع واضطراب** . والله سبحانه وتعالى أعلم.»اهـ «مجموع الفتاوى» (12/ 562-563)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فلما ذكر الإيمان مع الإسلام؛ **جعل الإسلام هو الأعمال الظاهرة**: **الشهادتان والصلاة والزكاة والصيام والحج**. وجعل الإيمان ما في القلب من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.» اهـ «مجموع الفتاوى» (7/ 14)